ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol.8 No.1 2024

التعريف بالتفسير الموضوعي وقواعده:دراسة تطبيقيةوتمثيلية

Introduction and Principles of Thematic Interpretation: An Applied and Representative Study

Usman Abbas
PhD Scholar, Department of Islamic Studies, UET Lahore.
Email: raiusman678@gmail.com
Ali Rizwan Shahzad
PhD Scholar, Department of Islamic Studies, UET Lahore.
Email: alirizwanlhr@gmail.com
Mohammad Amjad
PhD Scholar, Department of Islamic Studies, AWKU Mardan.
Email: amjadbajaur191@gmail.com
Hafiz M Dawood Al-Manshavi
PhD Scholar, Department of Islamic Studies, UET Lahore.
Email: hafizdawood99@gmail.com

Abstract:

This research discusses the concept and origination of objective exegesis. It originated very early and like all other sciences developed in response to people's ever renewed needs through ages, leading to the emergence of many schools and ideas, which forced scholars to study Quran's issues to meet people's needs in the different fields. The research reviews the stages to the development of the objective exegesis from its emergence early in Islam to date. Then the research tackles the development of objective exegesis and its significance as the interpretation of the Quran against its own verses and the grandeur of the Quran its miracles. The research then reviews the types of objective interpretation and its research approach that reflects it miraculous nature, its comprehensives and it wide horizons. The research is concluded by applied examples.

Keywords: Thematic Interpretation, Introduction, Principles, Applied Examples.

قد أنزل الله تعالى القرآن الكريم هدى ونورا وأمرنا بتدبره، وهو منبع الخير كله،ومطلع الهدايةالتي أشرقت أنوارها على القلوب، فبدد منها الظلمات واستأصل منهاالضلالات بما فيه من دلائل الحق والصدق، ولا سبيل للتدبر وتحقيق القرآنفيالحياةوتطبيقهإلابمعرفةالقراءةالصحيحة،والفهم السليملأحكامه وآدابه، والكشف عن أسراره،واستخراج كنوزه، وهذا يتحقق بتفسير القرآن لأنه من أشرف العلوم۔ وللتفسير الموضوعي أهمية فائقة،وضرورة ملحة في هذا العصر، لأنه متعلقبحل كثير من المشكلات التي ظهرت وتجددت وتنوعت، وأصبح الناس حائرين فيحلها، وعلموا أن الحل في دراسة هذه الموضوعات من خلال القرآن الكريم؛ لأنه الكتاب الإلهى الذي أودع الله تعالى فيه جميع الحلول في كل زمان ومكان، لذا اتجه الناس إلى دارسته وفهمه وعرض هذه المشاكل عليه، واستنباط الحلول من آياته۔وبناء على ما تقدم فقد اتضح أهمية هذا الموضوع ولهذا آثرت الكتابة فيه، حيث بدأ مع نزول القرآن الكريم، ثم تطور وتوسع إلى أن صار فنامستقلا، وعلما منفصلاويسمى"التفسير الموضوعي"

تعريف التفسير الموضوعي:

هو إفراد الآيات القرآنية التي تعالج موضوعا واحدا وهدفا واحدا بالدراسة والتفصيل بعد ضم بعضها إلى بعض، مهما تنوعت ألفاظها وتعددت مواطنها،دراسة متكاملة مع مراعاة المتقدم والمتأخر منها، والاستعانة بأسباب النزول، والسنة النبوية،وأقوال السلف الصالح المتعلقة بالموضوع[1]

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol.8 No.1 2024

نشأة التفسير الموضوعي:

من المعلوم أن التفسير أول العلوم القرآنية نشأة لما كان التفسير هو توضيح معنى نص أشكل فهمه أو هو مجموعة القواعد العلمية لفهم النص نستطيع القول بأن التفسير ينشأ من نشوء النص الذي يهم الناس فهمه[2]،إذ بدأ علم التفسير مع بداية نزول القرآن الكريم، إذ قال الله تعالى:وأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ[3] فكان النبيﷺمتكفلا ببيان القرآن وتفسيره، والصحابة رضوان الله عليهمكانوايسألون النبيﷺعما خفي عليهم معناه، وغمض عليهم تفسيره، فيجيبهم مع أنهم أفصح الناس لساناوأكثرهم علما بلغة القرآن، ومع ذلك قد جهلوا دقائق القرآن وبواطنه، وبعض معانيه التي لم تظهر إلا بعد سؤالهم النبيﷺوالبحث والنظر، ومع ذلك كان معظم القرآن لم يكن بحاجة إلى التفسير، لأنهم يفهمونه فهم أهل الفصاحة والبيان.وبعد وفاة النبيﷺقام علماء الصحابة والتابعين من بعدهم يبينون للناس معاني القرآن ويفسرونه لهم، واستمرت حركة التفسير في مسيرتها التاريخية على مدار القرون والأجيال على اختلاف مدارها واتجاهاتها،وأما التفسير الموضوعي بوصفه علم فهو قديم النشأة ثم تطور كغيره من العلوم تلبية لحاجات أهل كل عصر، لظهور كثير من المذاهب والأفكار، وهو بدعا من العلوم أفرزته عقول المتأخرين وغفلت عن الاهتمام به أفهام الأولين، ولكن بروزه لونا من التفسير له كيانه وطريقته في العصور المتأخرة إنما هو تلبية لحاجات العصر لظهور المذاهب والأفكاروالآراء التي تتشعب، مما اضطر العلماء للبحث عن كل المسائل في القرآن الكريم ليقينهم بأنه الكتاب الذي يشتمل على دراسة وعلاج كل ما يطرأ في حياة الناس، لأنه جامع لأصول الدين ومعالم الشريعة ومكارم الأخلاق، وجعله الله تعالى منارا للمهتدين ونورًا للمستضيئين، لذا اهتم به المعاصرون اهتماما كبيرا لمواكبته حاجة العصر، ولبيان أن التفسير الموضوعي قديم النشأة،ويمكن إجمال مظاهر قدم التفسيرالموضوعي في المراحل التالية:

العهد النبوي:

بدأ التفسير في عصر النبيﷺوكان على مراتب:

1ـتفسيرالقرآن بالقرآن:

وهو لب التفسير الموضوعي وأعلى ثمراته، لأن جميع الآيات التي تناولت قضيةواحدة والجمع بين دلالاتهاوتنسيقها كان أبرز ألوان التفسير الذي يربي النبيﷺأصحابه عليه.والمراد بتفسير القرآن بالقرآن:هو تفسير بعض آيات القرآن بما ورد في آيات اخر، فما أجمل في مكان فصل في مكان آخر، وما أوجز في موضع قد بسط وبين فى مكان آخر، وما أطلق في موضوع قيد في آخر، وقد يأتي ذلك متصلا بالمفسر في سياق واحد أو يكون المبهم في آية وتفسيره في آية أخرى، ومن أمثلة ذلك، فقد روى البخاري أن رسول اللهﷺفسر مفاتيح الغيب في قوله تعالى: وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ[4]يقول تعالى مفاتيح الغيب خمسة من قوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ[5]ويروى هذا عن كثير من التابعين[6]ومن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة رضوان الله عليهم من الجمع بين الآيات التي يظن بينها التعارض ومن ثم وضع العلماء بعد ذلك قاعدة في أصول التفسير تقتضي أن أول ما يرجع إليه المفسر هوالجمع بين الآيات والنظر فيها إذا ما أجمل في مكان قد فصل في آخر وما أطلق في آية إلا وقيد في أخرى،وما ورد عاما جاء ما يخصصه في سورة أخرى،وهو أصدق وابين أنواع التفسير.

2ـتفسير القرآن بالسنه النبوية:

أما السنة النبوية المطهرة فقد ورد فيها:ثبت وصح عن رسولهﷺأمثلة كثيرة تؤيد هذا الاتجاه أي أن التفسير الموضوعي قديم النشأة بدأ بنزول القرآن الكريم، ثم مركغيره من العلوم بمراحل وأطوار، ومن أمثلة ذلك ما جاء في السنة كبيان مواقيت الصلوات الخمسة وعدد ركعاتها، وكيفيتها، وبيان مقادير الزكاة، وأوقاتهاوأنواعها. ومن توضيح المعاني ما رواه

الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:لما نزلت هذه الآية: ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ[7]شق ذلك على الناس، فقال:يا رسول الله:وأينا لا يظلم نفسه؟ قال:إنهليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ[8] هذه إشارة نبوية واضحةفاللفظ الواحد قد تكون له معانٍ متعددة في القرآن الكريم، وأن جمع الآيات يفيد في تحديد المعنى المراد في كل موضع،وهذا هو منهج التفسيرالموضوعي.

عهدالصحابة والتابعين:

القرآن الكريم كان هدف الصحابة الأولىحفظونه ويعملون بما فيه ويهتدون بهديه،ويسألون رسول اللهﷺعما خفي عليهم، وحينما لحق رسول اللهﷺبالرفيق الأعلى بعد أن أدى الأمانة،وبلغ الرسالة،وتركهم على المحجة البيضاء؛فتحرجوا من القول برأيهم واجتهادهم في التفسير، ولكن تحملهم أمانة الرسالة التي أنيطت بهم بعد رسول اللهﷺأن يبينوا للناس ما خفي عليهم من أمر الدين، وقد اتسعت رقعة الإسلام ودخل في الإسلام غير العرب، وحدثت مسائل وقضايا كثيرة، واحتاج الناس لمعرفة الفقه والأحكام والتشريع، فأخذ الصحابة رضي الله عنهم،ومن بعدهم التابعون يحققون في الأحكام ويجتهدون في استنباطها منالقرآن، ولا يكون ذلك إلا بجمع الآيات المتماثلة ومقارنتها وترتيب نزولها، وهذا هو التفسير الموضوعي.

تطور التفسير الموضوعي وتدوينه:

بدأ تدوين القرآن الكريم بحياة النبيﷺوقبل التحاقه بالرفيق الأعلى، لأنه كان يملي ما يوحى إليه إلى بعض الصحابة كتبة الوحي، فيدونون في جلد أو عظم أو جريد نخل، لأن وسائل الكتابة لم تتيسر، وعدد الذين يكتبون قليل، ولكن كثيرًامن الصحابة حفظوا القرآن واستمروا في تدوينه وجمعه بعد وفاة النبيﷺلأن الله تعالى تعهد بحفظه: إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ[9]ثم بدأ تدوين العلوم الأخرى ومنهاعلم التفسير بصورة عامة، ولا ريب أن التفسير بأطوار كثيرة حتى اتخذ هذه الصورة التي نجده عليها الآن في بطون المؤلفاتمر والتصانيف بين مطبوع ومحفوظ[10]ومرتدوين التفسير بمراحل، كل مرحلة لهاطابعها الخاص المميز لها، كل مرحلة تعتبر إضافة لسابقتها. والتفسير في عهد الصحابة والتابعين كان يجري على نمط الرواية والنقل دون التأليف والتدوين إلا ما روي عن ابن أبيمليكة:أن مجاهداً كان يسأل ابن عباس منتفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول له ابن عباس أكتب، قال حتى سأله عن التفسيركله[11]والذي نقصده بالتدوين في التفسير الموضوعي ما بعد عصر الصحابة والتابعين وأتباع التابعين إلى عصرنا الحاضر لعدم وصول ما دون في عصرهمفي كتب خاصة، ولكنه كان محفوظاً ونقل إلينا مفرقا في الكتب التي وصلت إلينا.فقد وصلت إلينا بعض المؤلفات والتصانيف التي اهتمت بموضوع خاص في التفسير إذ بدأ بعض العلماء في جمع الآيات القرآنية ذات الوجهة الواحدة وإفرادمؤلفواحد خاص لها خدمة لكتاب الله. ومن هؤلاء:

1. قتادة بن دعامة السدوس،الف كتابا فى الناسخ والمنسوخ
2. معمر بن المثنى، في مجاز القرآن
3. محمد بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن
4. أبوبكرالسجستاني، نزهة القلوب في غريب القرآن
5. الراغبالأصفهاني، مفردات القرآن
6. ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن
7. أبوالحسنالواحدي أسباب النزول
8. الجصاص، أحكام القرآن
9. ابن العربي، أحكام القرآن

10. محمد صديق خان، تفسير آيات الأحكام[12]

هذه نماذج لبعض ماألف قديما في التفسير الموضوعي ،ثم تتابعت الأبحاثفي العصر الحديث استجابة لما دعت إليه حاجة المجتمع،وظروف العصر وحسب ما تقدممن تعريف التفسير الموضوعي بأنه يقوم على القضايا المتحدة معنى أو غاية، عدالعلماء الأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم في خصائصه أو صفاته أو التي عنيت ببيان المناسبات بين الآيات والسورأنها ليست من قبيل التفسير الموضوعي وإنما تدخل في باب علوم القرآن أو الدراسات القرآنية.

أهمية التفسير الموضوعي:

للتفسير الموضوعي أهمية عظيمة وضرورة واضحة في هذا العصر الذي تشعبت فيه الآراء وكثرت فيه المذاهب والأهواء، وتشابكت في الأقطار والأمصار، لذا تبدو الحاجة الماسة لهذا اللون من التفسير، ليحقق من الفوائد التي تعيد الإنسان إلى هدايةالقرآن الكريم ومعالجة أي موضوع يجد على الساحة. ومما يوضح هذه الأهمية:

1ـأنه تفسير للقرآن بالقرآن، والقرآن يفسر بعضه البعض، ما أطلق في موضع قيد في آخر، وماأجمل في موضع فصل في مكان آخر، وهو أعلى أنواع التفسير، وقد وضع العلماءأن تفسير القرآن بالقرآن قاعدةمهمةفي أصول التفسير.

2ـالوقوف على عظمة القرآن الكريم من خلال مواضيعه المختلفة وتشريعاته النيرة المتعددة، لأن جمع الآيات الكريمة جمعا موضوعيا مع التفسيروالدراسة المتأنية واستقصاءالمعانييبين عظمة هذا القرآن الكريم من حيث موافقة أحكامه وتشريعاته لحاجة البشرية في مختلف عصورها.

3ـإبرازوجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم، من المعلوم أن القرآن الكريم أعجز بنظمه وبلاغته ورصانة أسلوبه الأولين والآخرين، وشمل جميع الموضوعات المتكاثرة والمتنوعة والمتجددة،قال الراغب الأصفهاني:[13] وجعل من معجزة هذاالكتاب أنهمع قلة الحجم متضمن للمعنى الجم، وبحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه، والآلات الدنيوية عن استيفائه، كما نبه عليه بقوله: وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[14]

4ـازالة ما يوهم التعارض بين آيات القرآن الكريم وتوجيه ذلك توجيها سليما عن طريق جمعالآيات المتناثرة في القرآن الكريم ذات الموضوع الواحد والهدف الواحد، ودراستهادراسة متكاملة تكشف عن أن آيات القرآن الكريم متوافقة متألفة ليس بينها تعارض ولا اختلاف.

5ـبيانما تضمنه القرآن الكريم من أنواع الهداية الربانية من خلال المواضيع المتنوعة والتخلق بأخلاق القرآن والانتفاع من هذا التنوع في زيادة الإيمان.

6ـالرد على أهل الأهواء والشبه قديما وحديثا بهذا النوع من الدراسة التي تجمع شتات الموضوع الواحد وتحيط بجميع أطرافه وجوانبه للرد به على من يقول فيه برأيه متبعا لهواء واضعا لغيره الشبه والضلالات.

7ـتاصيل الدراسات وتصحيح مسارها، كثر الكاتبون في الدراسات الإسلامية والموضوعات المختلفة لأن كثيرامن المسلمين فتنوا بالحضارات المادية وسلكوا سبل غيرهم في تدوين العلوم، مع أن تدوين العلوم بدأ عند المسلمين، وقد بذلعلماؤنا جهوداً في خدمة الكتاب العزيز، لذا يحتاج مابرز من علوم ودراسات إلى تأصيل، وضبط للمسار حتى يؤمن عثارها، لذا نرى أن المسلمين يحتاجون إلى فهم شمول الهدي القرآن وكيفية البحث فيه قبل غيرهم، ولا يكون ذلك إلا بمثل هذه الدراسات التي تقوم على إحصاء الالفاظ، واستقصاء المعاني وتتبع الدلالات[15]

ومما تقدم نعلم أن التفسير الموضوعي له عظيم الأثر في إبراز الحلول لكل متطلبات العصر،ومن هنا تتجلى أهميةالتفسير الموضوعي.

ألوان التفسير الموضوعي:

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol.8 No.1 2024

اختلف العلماء الذين كتبوا في التفسير الموضوعي كعلم مستقل، من حيث تعريفه ونشأته،حول تسمية هذا المنهج الذي يتبع في دراسة التفسير الموضوعي، فمنهم من قال ألوان التفسير الموضوعي، ومنهم من ذكرها باسم أقسام التفسير الموضوعي، أو أنواع أو مناهج التفسير الموضوعي، أيا كان المسمى فالذي نريد توضيحه أن العلماء لم يتكلموا في مناهج المفسرين في التفسير الموضوعي بذاته بالتفصيل، لأنه لم يفرد كعلم مستقل يدرس في الجامعات إلا مؤخرا. ونختار اسم ألوان التفسير الموضوعي مما يلي:

اللون الأول:أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم، ثم يجمع الآيات التيترد فيهااللفظة أو مشتقاتها من مادتهااللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم، وبالنظر في ألفاظ القرآن نجد كثيرامن الكلمات المتكررة ألفت فيها الكتب والرسائل الجامعية مثل:الخشية،الصدقة، وغيرها.

اللون الثاني:وهو الذي يقوم على الاستقراء والإحصاء الشامل وتحديد موضوع ما يلحظ الباحث تعرض القرآن الكريم له بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة، أو تطرأ مشكلة أو تطرح قضية ويراد بحثها من وجهة نظر قرآنية وهنا نشير إلى عجيبة من عجائب القرآن الكريم المعجزة تدلنا على أن القرآن دستور حياة ومنهج عمل فيه الشمول والعموم والكمال والبيان.

اللون الثالث:وهو الذي يختار فيه المفسر موضوعا لعرضه من خلال سورةواحدة مثل المال في سورة الكهف أو الحوار في سورة يوسف عليه السلام اومنخلال مجموعة سور مثل حم السبعة أو غير ذلك، ثم يجمع جوامع الآيات الكريمةالتي تمثل أطراف الموضوع وعناصره ثم يعرضهالموضوع واحد بعد النظر والموازنة والالتزام بالخطوات المطلوبة.

خلاصة القول في ألوان التفسير الموضوعي:إن التفسير الموضوعي له عدة أقسام وهذا يدل على إعجاز القرآن وما فيه منالشمول والسعة فقد يكون موضوع الدراسة لفظة واحدة أو سورة واحدة أو موضوع معين، وفي كل قسم أو لون يجد الباحث اهتمام القرآن الواضح الصريح فيرى معالجة القرآن لجميع جوانب الموضوع كافية كأنما أنزل فيه وأنزل من أجل هذا الموضوع وكيف لا يكون ذلك وهو الذي أنزله اللههداية ومنهجاً متكاملًا للحياة صالح لكل زمان ومكان، حل لكل ما طرأ واستحدث في كل عصر.

طريقة البحث في التفسير الموضوعي:

أي الخطوات التي ينبغي أن يتبعها الباحث ويتقيد بها كل من أراد أن يكتب في التفسير الموضوعي، وهي:

1.المعرفةالدقيقةلمعنى التفسير الموضوعي حتى ينضبط الموضوع،ويتقيد لأن كثيرا من البحوث تكتب بمسميات لا تدخل في دائرة التفسير الموضوعي بتعريفاتهالسابقةمثلاكعلمالمناسبات وغيره.

2.تحديد الموضوع الذي أراد أن يتطرق إليه بوضع تصورٍ كاملٍ لأبعاده حتى يتحدد بدقة منحيثالمعنى حتى لا تختلط عليه القضايا أو تتداخل المسائل، وأن نختار له عنوانا من ألفاظ القرآن الكريم الصريحة أو مشتقاتها،ولا يجوز ترك اللفظالصريح في القرآن،واستبداله بالمصطلحات الحديثة التي يبدو أنها توافق اللفظ القرآني في المعنى، وقد تخالفه في جملتها؛لأن المعاني القرآنية مقصودة لذاتها، وعليه أن يختار أجمع لفظ قرآني عند تعدد الألفاظ، ثم يضم إليه الألفاظ المقاربة والمقابلة له في المعنى، لأن هذا يفيد في توضيح جميع الدلالات ويزيد في البيانات لمن أراد استيعاب واستقراء الموقف القرآني الشامل للموضوع المحدد، مثال إذاأراد الباحث أن يختار مثلا موضوع تفرد الله في ذاته وصفاته،يختار أجمع وأشهر لفظ في القرآن الكريم الوحدانية والتوحيدمثلا.

3.جمعالآيات القرآنية التي تبحث في الموضوع أو تشير إلى جانب من جوانبه.

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol.8 No.1 2024

4۔ترتیبہذہ الآیات حسب زمن النزول، أي تصنیف المکي والمدني، لأن معرفة وقت نزول الآیات في بدایة العهد أو في وسطه أي قبل الهجرة أو بعدماتتضح بهدقائق الموضوع وحکمه، کآیات تحریم الخمر والتدرج فیها، أو تحریم الربا،وغیره وکذلك معرفة سبب نزول الآیات یعین علی الفهم الصحیح لذا اهتم بذکره المفسرون۔

5۔ فهم هذه الآیات بالرجوع إلی تفسیرها ومعرفة أحوالها قبل الشروع في التفسیرالموضوعي وهذا أمر ضروري جدا حتی یستطیع الباحث ترتیبها والتألیف بین عناصرها وذلك یکون بالرجوع إلی کتب التفسیر التحلیلي، لأنه لا غنی للباحث فيالتفسیر الموضوعي عن استخدام التحلیلي وهمامعا یتکاملان لخدمة النص القرآني۔

6۔بعد فهم الآیات والإحاطة بمعناها مجتمعة یقسم المفسر الموضوع إلی عناصر وأجزاء منتزعة من صمیم المعاني المقررة في الآیات موضوع الدراسة، ثم یربط بینها برباط علمي، لیجعل الموضوع وحدة واحدة متسلسلة مرتبة فیقدم الأصول علی الفروع، وذلك بتقسیمه إلی أبواب وفصول حسب حاجة الموضوع، ویقدم ذلك بمقدمة حول أسلوب القرآن في عرض أفکار الموضوع لیبرز إعجاز القرآن في موضوعاته کما هومعجز في مواضع آیاتهالمرتبة في سورها۔

7۔ لابدللباحثأن یهتمبأسلوب العرض لتوضیح مرامي القرآن الکریم وأهدافه لیتمکن القارئ من فهم الموضوع وإدراك أسراره من خلال القرآن، لأن جاذبیة العرض وجودة السبك ورصانة الأسلوب ودقة التعبیر وبیان الإشارات بأدق العبارات هو المشهور والمعروف في عرف أهل الاختصاص بالتفسیر الموضوعي۔

8۔التقیید بقواعد وضوابط التفسیر العام والموضوعي بصورة خاصة بأن یتجنب خلال بحثه التعرض للأمور الجزئیة فلا یذکر من القراءات وجوه الإعراب إلا بالمقدار الذي یخدم الموضوع ویتصل به اتصالامباشرا،حتی یتجنب الحشو والاستطراد والتقسیمات الفنیة المحضة التي وردت في مصطلحات العلوم المنطقیة والفلسفیة وغیرها۔

9۔أنیلتزمقبل ذلك بالشروط والآداب التي وضعها العلماء للمفسر بصورة عامة۔

10۔یجب علیه أن یلتزم بعناصر الموضوع،وأن یستدلبالصحیح من الحدیث الشریف وأقوال الصحابة والتابعین علی أنها شارحة للموضوع مبینة لجوانبه ولیست منشئة لعنصر في الموضوع، لأن الموضوع محدد بجمع الآیات، وأن یتخذ بالمأثور من التفسیر مراعیاخصائص القرآن[16]

أن التفسیر الموضوعي یقوم علی جمع الآیات، لذلك ینبغي علی الباحث والمفسر أن ینظر نظرة شاملة لکل الألفاظ القرآنیة المتعلقة بموضوعه، لأن النظرالعام دون الاستیعاب الکامل للاستعمالات المختلفة وتقلیب الفکر والرجوع إلی أقوال المفسرین قد یؤدي إلی قصر الکلام، أو تحریفه عن مواضعه وعدم الالتزام بجمیعالخطوات السابقة قد یعرض الموضوع إلی الخروج عن دائرة التفسیر الموضوعي۔

نموذج تطبیقي للتفسیر الموضوعي:الاستغفارفي القرآن الکریم

لبیان هذه الضوابط نذکر نموذجا من أنواع التفسیر الموضوعي بعنوان:الاستغفارفي القرآن الکریم

تعریف ألاستغفارلغة واصطلاحا:

الاستغفارهو من الفعل غفر بمعنی ستر وعفی[17]

قال تعالی:وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ[18]

قال ابن کثیر :صبر علی الأذی وستر السیئة وتأتي کلمة غفر بمعنی التجاوز[19]

قال تعالی: وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ[20]

قال القرطبي :أي یتجاوزن ویحلمون عمن ظلمهم، وهذه محاسن الأخلاق یشفقون علی ظالمهم، ویصفحون عمن حمل علیهم ویطلبون بذلك ثوابالله تعالی وعفوه[21]

والاستغفار طلب المغفرة قولاوفعلا؛قال تعالی:فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارا[22]

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol.8 No.1 2024

والغفر السؤال اللهم غفرا والغفران من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب،وقد يقال غفر له إذا تجاوز عنه في الظاهر، وإن لم يتجاوز عنه في الباطن، قال تعالى: قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ[23]

قال القرطبي:يغفروا يعفوا ويتجاوزوا[24] وكلمة الغفور والغفار مختصة بالمولى جل ثناؤه وهما من أبنية المبالغة ومعناهما الساتر لذنوب العباد المتجاوز عن خطاياهم[25]

والاستغفار في الاصطلاح:

طلب المغفرة من الله تعالى، وهو أيضا طلب ذلك بالمقال والفعال، قال تعالى: وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُور رَّحِيمُۢ[26] أي أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم فإنه غفور رحيم لمن استغفره[27]

العلاقة بين الاستغفاروالتوبة:

قال ابن القيم:الاستغفار قسمان:قسم مفرد، وقسم مقرون بالتوبة،

فالمفرد كقول صالح عليه السلام لقومه: قالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ[28]

والقسم المقرون بالتوبة كقوله تعالى:وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيم وَدود[29] فالاستغفار المفرد كالتوبة،بل هو التوبة مع تضمنه طلب المغفرة من الله ومحو الذنوب وإزالة أثره كما ظنه بعض الناس:إنها الستر والاستغفار يدخل في باب إزالة الضرر، والتوبة تدخل في باب جلب المنفعة[30]

العلاقة بين المغفرة والعفو:

يقال:عفوت عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه وعفو المال:ما يفضل من الصدقة، وقيل:أصله العفو والمحو والطمس، ومن أسماء الله تعالى العفو، وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وهو من أبنية المبالغة[31]، قال تعالى:وهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ[32]

والعفو في الاصطلاح:القصد لتناول الشيء والتجاوز عن الذنب، وقيل العفو: كف الضرر مع القدرة عليه، فكل من استحق عقوبة فتركها فهذا الترك عفو، وعفا له ذنبه وعفا ذنبه[33]

الفرق بين العفو والمغفرة:

1-إن المغفرة تقتضيإسقاط العقاب ونيل الثواب، وهذا لا يستحقه إلا المؤمن، أما العفو فإنهيقتضيإسقاط اللوم والذم ولايقتضي الثواب-

2-العفو قد يكون قبل العقوبة وبعدها، أما الغفران فإنه لا يكون معه عقوبة البتة ولايوصف بالعفوإلا القادر عليه-

الأمر بالمسارعة إلى المغفرة:

المسارعة:مصدر قولنا سارع فلان إلى كذا وهو مأخوذ من مادة"س ر ع" التيتدل على خلاف البطء، وجاء فياللسان أن الفرق بين السرعة والإسراع:أن الإسراع فيه طلب وتكلف، يقال أسرع أي طلب ذلك من نفسه وتكلفه كأنه أسرع المشي، أيعجله، وأما سرع فلان فالمعنى أن السرعة فيه طبع وسجية[34]

قال تعالى: وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ[35] والمعنى سارعوا إلى ما يوجب المغفرة وهي الطاعة، وقيل:إداءالفرائض، وقيل:الإخلاص، وقيل التوبة من الرياء، وقيل:الثبات في القتال، وقيل:غيرهذا، والآية عامة في الجميع[36]

والمسارعة إلى المغفرة أمر بهاالله تعالى ونهى عن تسويف التوبة، والمسارعة منصفات الأنبياء صلوات الله عليهم، أي أنهم يكثرون منالطاعات ويسارعون في الخيرات، قال تعالى:إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ[37]

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol.8 No.1 2024

النهى عن القنوط من المغفرة:

القنوط هو اليأس من الرحمة، قنط يقنط إذا يئس يأساشديدا[38] وقيل هو استصغار لرحمة الله تعالى وتضييق لجوده الواسع واستبعاد الفرح واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله وكلاهما ذنب عظيم وينافيان كمال التوحيد، قال تعالى حاكيا عن نبيه يعقوب عليه السلام:يٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ[39]

والقنوط سوء الظن بالله تعالى، لذا يجب على المؤمن أن يحسن الظن بالله تعالى ويسارع إلى التوبة والاستغفار، ويثق بإجابة الله دعاءه وقبول توبته مهماعظم ذنبه.قال تعالى:قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ[40]

استغفار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

الاستغفار في القرآن الكريم بدلالاته المختلفة يشمل الجميع أمر الله تعالى به ووعد بقبوله يشمل حتى الأنبياء، بل هو مطلوب منهم أكثر من غيرهم، لأنهم يعرفون الله ويقدرونه حق قدره ويعرفون عفوه ومغفرته وإن لم تكن لهم ذنوب ومعاص.

والذي يكثر من الاستغفار من عامة البشر ويحقق العبودية الله تعالى، يتأسى بالأنبياء والمرسلين قالﷺ:والله إني لأستغفر الله وأتوب إليهفي اليوم أكثر من سبعينمرة[41].وفي رواية مائة مرة.

وقد استغفر آدم أبو البشر وزوجه قال تعالى:قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ[42]

واستغفر نوح عليه السلام، قال تعالى:ربِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا[43] إن نوح عم بالدعاء لكل مؤمن من كل ملة.

وكذلك إبراهيم عليه السلام قال تعالى:رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ[44]

وقال موسى: قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ[45]

وكذلك استغفر النبي محمدﷺبل أكثر منهم مع أن الله تعالى قد غفر له، قال تعالى:انَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحا مُّبِينا،لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطا مُّسۡتَقِيما[46]

وأمره الله تعالى أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات قال تعالى: فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ[47]

مما تقدم يتضح أن الأنبياء استغفروا لأنفسهم وللمؤمنين والمؤمنات وأمروا الناس بالاستغفار، وبينوا لهم ثمراته وفوائده، والترغيب فيه والإكثار منه.

الخاتمة:

بعد النظر والدراسة لنشأة التفسير الموضوعي توصل البحث إلى النتائج التالية:

أن الله تعالى أنزل القرآن الكريم وجمع فيه معالم الشريعة وأصول الدين ومكارم الأخلاق، ولا حلول ولا نظام ولا أمن واستقرار إلا بالرجوع إليه واستنباط الحلول من آياته.التفسير الموضوعي نشأ مع نزول القرآن الكريم، فهو يشمل معنى تفسير القرآن بالقرآن وتفسيرالقرآن بالسنة، أي هو النظر الموضوعي للآيات التي تحيل إلى آيات أخرى ولا تفهم إحداها إلا بالأخرى.ان تفسير القرآن بالسنة فيه إشارة واضحة إلى أن اللفظ الواحد له معانٍ متعددة في القرآن الكريم، تظهر بجمع الآيات لتبين المراد في كل مقام.بدأ بعض العلماء في جمع آيات القرآن ذات الوجهة الواحدة،وأفردوا لها مؤلفات خاصةخدمةلكتاب الله تعالى فكانت بداية لتدوين التفسير الموضوعي.التفسيرالموضوعي علم مستقل مؤلفةفيه الكتب، ويدرسمادة مستقلة في الجامعات والمعاهد، وأصبحت الحاجة ملحة إليه في هذا العصر الذي تقاربت فيه المسافات،

وتشابكت فيه الأقطار، وظهرت فيه المذاهب والأفكار التي أدت إلى ظهور الفتن والخلافات، ولذا أصبحت الحاجة ماسة وملحة إلى هذا اللون منالتفسير الذي يوجه إلى حل كثير من المعضلات۔أن الاستغفارذكر وعبادة وهو دأب الأنبياء والصالحين۔أن االلهتعالىيأمرنا بالاستغفار في كل الأحوال ومن جميع الذنوب۔الاستغفاردعاء وطلب وانكسار وتذلل وتبرؤ من الحول والقوة والكبر۔الاستغفاريحقق المآرب والأمن والذرية ويحفظ الصحة والقوة۔

المصادروالمراجع:

- القرآن الكريم
- أثرالتطورالفكري في التفسير في العصر العباسى، مساعد مسلم آل جعفر، مؤسسة الرسالة، 1984م۔
- أصول التفسيرالموضوعي،د.سميرةمحمودالمدنى،مجلةالشريعةوالقانونلدراسات الإسلامية،1435 ھ۔
- أصول التفسير ومناهجه، عمر يوسف حمزة۔
- الإتقانفي علوم القرآن،عبدالرحمان بن ابى بكر،جلال الدين السيوطى،الهيئةالمصريةللكتاب، 1394ھ۔
- البداية في التفسير الموضوعي، عبدالحي الفرماوي۔
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، دار إحياء الكتب العربية،1376ھ
- التوفيق على معاني التعاريف، المناوي۔
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت۔
- الجامعالصحيح،محمد بن إسماعيلالبخاري،دارطوقالنجاة،1422ھ۔
- المدخل إلى التفسيرالموضوعي،عبدالستار فتح االله سعيد،دارالتوزيعوالنشرالإسلامية،القاهرة، 1412ھ۔
- المفردات في غريب القرآن،مطبعة مصطفى البابي الحلبي۔
- تاج العروس وصحاح العربية، الجوهري،
- دراسات في التفسير الموضوعي، زاهر عواض الألمعي۔
- طبقات المفسرين، الداؤدي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان۔
- لسان العرب، ابن منظور،دار إحياء التراث، 1416ھ۔
- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار العلم سوريا،1410ھ۔
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين۔
- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة۔
- معجم المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفري۔
- مقاييس اللغة، ابن الفارس، مكتبة الخانجي، مصر،1402ھ۔

[1]البداية فى التفسير الموضوعى،ص52

[2]اثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسى،ص250

[3]سورة النحل الآية44

[4]سورة الأنعام الآية59

[5]سورة لقمان الآية34

[6]التفسيروالمفسرون،35/1

[7]سورة الأنعام الآية82

[8]سورة لقمان الآية13

[9]سورة الحجر الآية9

[10]مباحث في علوم القرآن،ص289

[11]الاتقان في علوم القرآن536/2

[12]مباحث في علوم القرآن،ص332؛التفسير والمفسرون،149/1؛أصول التفسير ومناهجه،ص130

[13]المفردات في غريب القرآن،ص5

[14]سورة لقمان الآية27

[15]المدخل إلى التفسير الموضعى،ص40؛دراسات في التفسيرالموضوعى،ص30؛مباحث في علوم التفسير الموضوعي،ص32

[16]مباحث في التفسيرالموضوعي،ص60؛والمدخل إلى التفسير الموضوعي،ص58

[17]لسان العرب،25/5

[18]سورة الشورى الآية43

[19]تفسير القرآن العظيم،121/4

[20]سورة الشورى الآية37

[21]الجامع لأحكام القرآن،35/16

[22]سورة نوح الآية10

[23]سورة الجاثية الآية14

[24]الجامع لأحكام القرآن،161/16

[25]لسان العرب،25/5-26

[26]سورة المزمل الآية20

[27]تفسير القرآن العظيم،440/4

[28]سورة النمل الآية46

[29]سورةهود الآية90

[30]مدارج السالكين،307/1

[31]الصحاح،243/6؛النهاية في غريب الحديث والأثر،265/2

[32]سورة الشورى الآية25

[33]التوفيق على معانى التعاريف،ص423؛معجم المصطلحات والفروق اللغوية،ص53

[34]لسان العرب151/8

[35]سورة آل عمران الآية133

[36]الجامع لأحكام القرآن،203/4

[37]سورة الأنبياء الآية90

[38]مقاييس اللغة،32/5

[39]سورة يوسف الآية87

[40]سورة الزمر الآية53

[41]الجامع الصحيح للبخاري،كتاب الدعوات، باب استغفار النبيﷺ، رقم الحديث6307

[42]سورة الأعراف الآية23

[43]سورة نوح الآية28

[44]سورة إبراهيم الآية41

[45]سورة الأعراف الآية151

[46]سورة الفتح الآيات2-1

[47]سورة محمد الآية19